" The semantic symbolist of the stick in the Arabic illustration "

الدلالة الرمزية للعصا في المثل العربي القديم
قراءات نسقية

أ.م.د.محمد جعفر محيسن العارضي
كلية الآداب ـ جامعة القادسية

الخلاصـــــة //

جرى استعمال " العصا " في المنجز الفكري العربي على دلالات و وظائف متعددة و متنوعة ، فاحتلَّت بطبيعة الحال مساحة طيبة في التوظيف المثلي العربي التراثي ؛ ما يحفظ لها مكانة تربوية و أبعادا حضارية في البنية المجتمعية العربية ، و في البنية الحياتية عموما على أساس من التشكُّل القيمي العام .

قد يكون لاستعمال " العصا " فضاء معرفي واسع تتخلَّله صورة العصا ليس ببعدها العرفي بل بأبعادها الرمزية و آفاقها التخييلية ؛ إذ خلع العربي على " العصا " من فنون التأثير و الرمز ما تحوَّل بها إلى واقع (سحري) متحرِّك يحتضن بين جنبيه كثيرا من تفاصيل الحياة و تجارب أهلها الوعاة .

و في هذا السياق يأتي هذا البحث ليتكلَّم على خصوصية التوظيف الكلامي المثلي لمفهوم " العصا " و صياغة نظر دلالي رمزي يعتمد التحليل الواصف لأنساق استعمال " العصا " في المنظومة الكلامية المثلية التراثية العربية ؛ ليحيل التحليل اللغوي الوصفي إلى مساحة من النظر المعرفي و الفكري الباحث عن " العصا " بلحاظ أنَّها أداة رمزية حاضرة للتوظيف في مقامات كثيرة من مقامات الأداء المثلي ، من خلال ما يجده المتكلم فيها من مقدرة على تلبية حاجاته التعبيرية من خلال تمكنها من اختزال الموقف الفكري و إحضاره إلى الذهن بمقوماته كلها ...

بدا أنَّ " العصا " هكذا كانت في التوظيف المثلي ؛ فقد وجد فيها (الحكيم – المفكر – المعلِّم الاجتماعي) ما يستطيع به أن يتحوَّل بالحادثة إلى درس اجتماعي و فكرة تعليمية و تربوية . هذا بمجمله جعله يتعاطى معها على أساس من هذه الكفاءة و القيمة مستثمرا طاقاتها الايحائية و ما تمثله في الكفاية الاجتماعية العربية و المخيال الفكري من رمز إلى الثراء ، و الصغر ، و الهلاك ... فتمثُّل هذا في أنساق فكرية متوالية تشكِّل بمجموعها منظومة متماسكة من الأفكار و الإشارات تمَّت قراءتها في هذا البحث قراءة تحليلية رمزية .

Abstract

The stick comes in the Arabic illustration an The semantic attempt to talk about . the paper to come until to study function symbolist , to come the stick of the semantic and the meaning : the setting up , the wealth , the tolerant , the unrest …

This bound from The stick power symbolist application of the study is using the concept of .

Torture functional The semantic in the orders intellectual progression to form group intellectual to observe and recital symbolist , analytical .

المقدمـــــة //

يقوم التكوين النسقي لأدوات الإبداع على أساس من إنشاء متمركزات فكرية تتمحور حولها مجموعة الرؤى الجزئية في طريق إقامة واعية للرؤية الكلية لموضوع ما ، و إبداع ذلك كله على نحو تأثيري . و هذا التكون المتناسق هو الذي يعمل على توافر القراءة النسقية لعناصر التشكيل الكلامي .

و هذه القراءة المنتظرة تقوم على تأسيس الشعور بوعي ثقافة هذه العناصر ، و الوصول شيئا فشيئا إلى القناعة بوعي ثقافة تلك العناصر من خلال إثارة مداومة مواقف الإدهاش و صور لذَّة النص لما كان من قصد مداومة الإفادة مما يُثيره الرمز بهذا العنصر أو ذاك من عناصر مكونات العملية الإبداعية الأدبية المعتمدة توظيف الظهورات اللفظية .

و اللافت للانتباه أنَّ هذا النظر لا يقتصر على التصورات التأثيرية للعناصر المعنوية في الاستعمال الكلامي بل يشتمل أيضا على العناصر ذات الاستغراق المادي في تفاصيل الحياة لمجتمع ما . و من تلك العناصر التي يبدو استغراقها المادي " العصا " . و لكنَّ التعامل معها في منظومة المتن المثلي التراثي العربي جاء ليوازن بين مؤداها المعنوي و واقعها المادي .

جاءت هذه القراءات النسقية الواصفة لتقف على آفاق الرمز بالعصا في أطر إنتاج الخاصة المثلية العربية على مستوى التوصيل اللغوي و التأثير الأدبي المتساوق مع فاعلية الأداة اللغوية العربية ، و ما تُعطيه من أجواء تعبيرية دلالية تتمتع بالثراء و التنوع .

و " المَثَل " المشابهة في الصفات الخارجية ، و بهذا يختلف عن " المِثل " الذي يقتضي المساواة في الصفات و تمام الجزئيات [1] ، مأخوذ من المثول [2] ، و الشخوص [3] . بمعنى مثول صور الأقوال في الذهن [4] .

و الأصل في " المَثَل " التشبيه [5] . و قد يكون مأخوذا من التمثال ، بمعنى التصوير و التخييل ؛ و من ثم فهو لا يبتعد عن الشخوص [6] .

و " المَثَل " بين فنون الكلام ((قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول)) [7] ، و هذا القول لا يكون متداولا ما لم تكن فيه غرابة [8] ما . و مما تجدر الإشارة إليه أنَّ " المَثَل " نهاية البلاغة و أعلاها ؛ لأنَّ فيه اجتماع أربعة أشياء لا تجتمع في غيره من فنون القول هي إيجاز اللفظ ، و إصابة المعنى ، و حسن التشبيه [9] ، و جودة الكناية [10] .

إنَّ الذي ذُكر فيما تقدَّم يقود للقول أنَّ المثل صورة حيَّة ماثلة بالكلمات لمشهد واقعي أو متخيَّل يُؤتى بها لتقريب ما يُساق له ، و يُعتمد في هذه الصورة التشبيه و الكناية , و تُشترط فيه المشابهة بين الموقفين ، و التداول ، و التزام الألفاظ نفسها [11] .

و من لوازم " المَثَل " و غايات سوقه العِبرة ، و العِظة ، و إقامة الحجة ، و أحيانا تكون غايته الحديث فقط [12] . و كثيرا ما يُلاحظ ذُكر ما يكون من قبيل هذا في السياق المَثَلي ، فيُقال ((جعلته مثلا مضروبا ، و أحدوثة سائرة ، و عِبرة ظاهرة ، و عِظة بالغة . و تقول : و جعلته حديثا للغابر ، و أعجوبة للناظر ، و مثلا للسامع ، و عِبرة للمتوسم و عِظة للمتفكِّر)) [13] .

تقدِّم " الأمثال " صورة لعادات الشعوب و عقلياتها [14] ، و هي لدارس المجتمع معين لا ينضب [15] ؛ و من ثم تكون الدراسات التي تتعامل مع المتن المَثَلي ((أجدى الدراسات ، و أكثرها نفعا ؛ لمعرفة مظاهر حياة الأمَّة)) [16] ، و الوقوف على هيكله فلا التنظيمي و بنيتها الفكرية و المعرفية ؛ فبالوقوف على "المَثَل " و دراسته ((تتكشَّف لنا أنماط من السلوك الاجتماعي و النفسي و الثقافي للمجتمعات الإنسانية التي صدرت عنها تلكم الأمثال)) [17] .

و تبقى " الأمثال " غنية بآفاقها التحليلية [18] و الأدبية ، و ما تخلقه من ((نشاط الذهن الإنساني)) [19] الطامح و الساعي إلى تخليد التجارب الإنسانية ، و صوغها صوغا تأثيريا على هيأة خطاب فكري يتحول بالحادثة إلى مدوَّنة تنحفر في ذاكرة التأريخ البشري تتلمذ عليه الأجيال على تعاقبها و اختلاف مبانيها الفكرية .

إنَّ طبيعة التعامل مع أدوات " المَثَل " العربي على مستوى توظيف الظهورات اللغوية ، و توظيف العناصر المادية القابلة توازن بين أبعادها المعنوية و واقعها المادي . و من هنا تتبدَّى رمزية " المَثَل " في حدود ما يتصل بتوظيف " العصا " .

هنا ينبغي تأكيد مسألة مهمَّة هي أنَّ الشخص الواضع (المثقف) و صاحب الخبرة الثقافية المجتمعية عندما يجد في هذا العنصر المادي الكفاءة و المقدرة على تجسيد الفكرة أو الحادثة و استرجاعها أو تلخيصها للإفادة منها في موضع آخر سيُسارع إلى اتخاذ هذا العنصر وسيلة في التأثير التمثيلي . و إن لم يكن هذا العنصر المادي أو ذاك يمتلك من هذه المقدرة ، فإنَّ هذا الواضع سيخلق بخبرته و ذائقته سمة ما ليُضفي عليه هذه المقدرة . بمعنى أنَّ هنالك وظيفة مَثَلية سياقية لعناصر الاستعمال .

و هذا التوظيف الرمزي الذي تعامل مع " العصا " بعدِّها عنصرا ذا بعد ثنائي في التشكيل التكامل للخطاب ، فهي أداة كلامية تتساوق في تضاعيف البنية اللغوية بما تحمله من مرجعيات مباشرة من جهة ، و من جهة ثانية – و هي الأهم – تحمل " العصا " أفقا تخييليا رحبا يستطيع حمل المتلقي على آفاق المعاني الثواني التي تؤكِّد القصدية الشعرية و المدى الثقافي وراء المتن المَثَلي ؛ و من ثم تخليد الأثر الإجتماعي التطهيري للبنية المعرفية للخطاب المَثَلي تخليدا ثقافيا يسعى إلى مداومة الحضور لغرض رصد متغيرات الحياة و مراقبة جديدها بنفث روح التراث و تأكيد محاكاة تجاربه وصولا إلى قراءة الواقع بامتداد التراث و آفاق المستقبل ، مع لحاظ التغيرات الحداثية في كل ركن من أركان الحياة .

تبعا لهذه المقاربات المَثَليَّة الحياتية يمكن توزيع " العصا " المضروبة مثلا إلى موضوعات و أنساق تلاؤمية نتوخَّى من خلالها الترميز بالعصا إلى دلالات كثيرة ، من مثل نسق السجايا ، و نسق الغلظة ، و نسق الضعف ...

المجموعة الأولى : نسق عصا السجايا .

يظل التوظيف الرمزي للعصا في المنجز المثلي ينسخ " عصا الضرب " ، و كأنَّه جاء ليأكل من جسدها حتى يسلبها قوتها . و هذا المشوار أو النظر الخيالي للعصا يستمد قواه و يجد جذوره في البنية الفكرية العربية التي تميل إلى تغليب كل ما هو معنوي على كل ما هو مادي بنسبة ما . بمعنى تغليب ما هو ثقافي على ما هو حضاري في الحياة ، و التفكير ، ، و السلوك ، و الموقف ، و البناء الأيديولوجي للتجمعات الإنسانية إذا أريد له أن يكون بناء صحيحا واعيا خلاقا للأمل و الإبداع و التغيير . و هذا ما نجده في آفاق العدل ، و الحلم ، و الأناة ، و الذكاء ، و جودة الرأي ، و الحب ، و الأدب ، و الشَّفقة .

1- عصا الحب .

جاءت " العصا " و العلاقة بينها و بين لحائها للترويج إلى معنى التحابب و الاتفاق . و كان ذلك في ثلاثة استعمالات مَثَليَّة تُجسِّد هذا المضمون هي قوله : ((أنا بين العصا و لحائها)) [20] . و يُقال : ((لا مَدخل بين العصا و لحائها)) [21] . و قريب منه قولهم : ((لا تدخل بنميمة بين العصا و لحائها)) [22] . و هذا كلّه يفضي إلى مساحة من التقارب و التواد و الرغبة في ديمومة هذه المساحة و بقاء آثارها الذاتية و المجتمعية .

2- عصا الذكاء و جودة الرأي .

الشيخ أقوى من عصا الصبي [23] . هذا المَثَل ورد في سياق مَثَلي يفهم منه الدلالة على الذكاء و حسن رأي الشيخ بالإضافة إلى الصبي .

و في قولهم : ((العصا من العُصيَّة)) [24] إرادة الدلالة على معنى [25] أنَّ الأولاد ((يشبهون أباهم في جودة الرأي)) [26] . و هذا الاستعمال إنَّما كان بسبب من الصلة بين " العصا " و رجاحة العقل من خلال التلازم بين الكبير و عصا التوكؤ ، فضلا عن أنَّ " العصا " تتضمن الدلالة على القوة بعيدا عن استعمالها في مثل هذه الوظيفة .

و لا يبتعد رمز " العصا " عن هذا إذا ما أريد الإشارة بها إلى حدوث الأمر الكبير من الأمر الصغير [27] في بعض الظروف .

3- عصا الأدب .

و تكون " العصا " دالة على الأدب و حُسن الخُلق في قولهم : ((لا ترفع عصاك عن اهلك)) [28] . و في هذا الاستعمال ((لم يرد ضربهم و إنَّما هو الأدب ، أراد لا ترفع أدبك عنهم)) [29] . و غير بعيد عن هذا السياق أنَّه أراد عدم البعد عن الأهل [30] . و لا تبتعد الدلالة عندئذ عن أجواء الوفاء و حُسن الخُلق .

4- عصا الأناة .

للعصا حضور في تأكيد الرَويَّة و الأناة ، و ذلك قولهم : ((ما صَلَى عصاك كمستديم)) [31] . و الترابط بين " العصا " و التروي لا يخفى ، فهي منوطة بالتعقّل و التباطؤ و لا سيما عندما نستحضر التلازم بينها و بين مرحلة الشيخوخة ؛ و من ثم تأتي دلالتها على حسن التربية و التعليم و اكتساب أنواع من الفضائل و السجايا .

5- عصا الشَّفَقَة .

للعرب في رعاتهم بعض المظاهر منها ما صاغوه على هيأة المَثَل . و من ذلك قولهم للراعي : ((ضعيف العصا)) [32] . و المراد الراعي الشَفِق [33] ، الذي يتحلَّى بحسن السياسة [34] . و هو بعد ذلك الضعيف الذي لا يقوى على غذاء ما يرعى به .

6- عصا العدل و الحِلم .

من قصص العرب التي ذُكرت فيها " العصا " و جرت مثلا ما يُروى أنَّ ((عامر بن الظَّرب العدواني حكم العرب في الجاهلية ، لمَّا أسنَّ و اعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو فهَّ [35] ، و جار عن القصد ... و كان يُقال لعامر : ذو الحِلم ، و لذلك قال الحارث بن وعلة :

و زعمتم أن لا حلوم لنا إنَّ العصا قُرِعت لذي الحِلم)) [36] .

7- عصا النَّجدة .

تستعمل " العصا " للدلالة على الوصول ، و ذلك في قولهم : ((هو لك على ظهر العصا)) [37] . بمعنى أنَّه يصلك من دون مشقَّة [38] ، عندما تطلبه للنجدة و العون . و ليست الدلالة على السرعة ببعيدة عن " العصا " في هذا السياق التشبيهي .

المجموعة الثانية : نسق عصا الشِّدة و التفرق و الحركة .

لا ينتهي التوصيف الدلالي لتوظيف " العصا " عند تساوقها مع تأكيد مسألة تغليب المادي ، و تفوقها على ما هو راسخ من اقترانها بالضرب ، و هذا ما كانت عليه في سياقات نسق السجايا ، إنَّما يسير الترميز بالعصا في سياقات نسق التفرق و الحركة إلى أن يكون صورة لحركيَّة الخيال المتجاوز لكل ما هو محدود إلى كل ما هو مفتوح واسع ، في حركة طامحة نحو التغيير و الارتقاء بالإنسان من خلال إظهار رموز الخير و الصلاح على رموز الشر و التخلُّف ، اعتمادا على رموز الرحيل بجد و سرعة إلى الضد من معاني العداوة ، و الاختلاف ، و الفتنة ، و الشِّدة ، و الفرقة في إثارة آفاق التطهير و تبني المواقف الثقافية المغايرة التي يترتب عليها العمل بصدق و تواصل لخلق أجواء الفعل الحياتي المهتم بالإنسان كقيمة مجتمعية عليا ينبغي تحقيق التساوق و الإنسجام بينه و بين الآخر الثقافي من جهة و بينه و بين عناصر الوجود من جهة أخرى .

1- عصا الجدّ و السرعة .

وردت " العصا " في اختيارات مَثَليَّة يجمعها رابط الدلالة على السرعة و الجد ، و ذلك في قولهم : ((لو أنَّه في عصاك سير)) [39] . و قولهم : ((أسرع من عصا الأعرج)) [40] ، و ((أقرب من عصا الأعرج)) [41] أيضا . و تتسع الدلالة في هذا السياق إلى الحد الذي تكون فيه الدلالة على السرعة مصحوبة بالدلالة على الأمل .

2- عصا الشدَّة .

مثلما كانت للعرب في رعاتهم بعض المظاهر المطلوبة كالشفقة التي صيغت مثلا ، لقد ذكروا الراعي الشديد في أمثالهم أيضا فقالوا فيه : ((صُلب العصا)) [42] .

و يستفاد من " أبنة العصا " الإشارة إلى الأمر المستعصي حلّه ، إذ قالوا في المَثَل : ((ما هو إلا أُبنة عصا و عُقدة رشا)) [43] .

3- عصا الفُرقة و الخلاف .

لا تُدعى " العصا " عصا حتى تكون جميعا ، فتُضرب لذلك مثلا للاجتماع [44] . فإذا قيل : ((شقَّ عصا المسلمين)) [45] ، أُريد به الدلالة على أنَّه فرَّق وحدتهم و جمعهم ، و أوقع الخلاف بينهم [46] .

و قريب من ذلك قولهم : ((طارت عصا بني فلان شَقشَقا)) [47] ، فهي في هذا السياق تدل على التفرّق [48] و التشرذم . فضلا عن حالة الضعف التي يعيشون . و في ذلك يقول الشاعر : [49]

عِصي الشمل من أسد أراها قد تصدَّعت كما انصدع الزجاج

4- عصا اختلاف الرأي .

و للعصا دلالة أخرى على تنوع استجابة القوم لما يحدث إن فرحا و إن حزنا ، كما في قولهم : ((ما قُرعت عصا على عصا إلا حزن لها قوم و سُر لها آخرون)) [50] . و الرمز بالعصا إلى الأمر الذي يورث الاختلاف بين القوم يتضمَّن الإيماء إلى

اختلاف متبنيات كل قوم و ما يحتكمون إليه في تعاطيهم مع حوادث المحيط . و قد تكون هنالك إشارة إلى التحيّز و اتخاذ الاختلاف طابعا متشددا ينزع منزع التصدع المجتمعي و عدم الانسجام ؛ مما يمهِّد إلى الضعف .

5- عصا الترحال .

تأتي " العصا " في سياق السفر ، فإذا سار الرجل و كثر سفره قيل : ((رفع عصاه)) [51] .

6- عصا العداوة .

إذا قالت العرب : ((يقشِّر لي عصا العداوة)) [52] ، فإنَّها تريد أنَّه يكاشف بالبغضاء [53] . و تقوى الدلالة على البغض و الاعتمال له و الاستعداد عندما جعل قشر " العصا " دليلا عليه ؛ فقدَّم المعنى بما يوحي بازالة العاطفة و مظاهر اللين في طريق الوصول إلى الجفاء و يبس العاطفة إبَّان هذا الموقف ، و هذا ما تكفَّل الدلالة عليه إزالة القشر عن " العصا " ؛ ليوحي بالرغبة في استجماع القوة و الشدة .

7- عصا الفتنة .

و مما تدل عليه " العصا " دلالتها على الفتنة ، و ذلك في قولهم : ((إيَّاك و قتيل العصا)) [54] . إنَّ " العصا " يُراد بها في هذا السياق الدلالة على الفتنة و السعي فيها . و دلالتها هنا ليست بمباشرة بل تدل أول الأمر على الجماعة ؛ و من ثم تأتي دلالتها على التفرق . و هذا ما يقود إلى الفتنة و العداء و القتل .

و قد سعى المثل إلى التحذير الشديد من ذلك بتوظيف رمزي أدخل " العصا " فيه ليخلق أجواء البشاعة و الكراهة .

المجموعة الثالثة : نسق عصا الضعف و الذل .

لعلَّ مما يعد توظيفا سلبيا وظِّفت فيه " العصا " هو ما نجده في رمزها إلى ما يدل على معاني الذل و الضعف . غير أنَّ المتأمِّل قد يجد ما يُخرجه من دائرة الرمز ذي الأجواء السلبية التي لا تبدو منسجمة مع وعي " العصا " في المنظومة الثقافية العربية الذي تكلَّمنا عليه في القراءات السابقة ؛ ذلك بأنَّ الخطاب الضدي هو ما يتكفَّل التحول بما يبدو أنَّه سلبي في التوظيف إلى ما هو ايجابي في الفهم و النتيجة ؛ إذ إنَّك واجد في الاختيارات المَثَليَّة مجموعة من البنى الضاغطة على البنية الأصل لتخلق أجواء مغايرة تعيد إلى " العصا " مكانتها الأولى و وعي قيمتها الثقافية الإيجابية التي استقرَّت في منظومة العرف .

1- عصا الانقياد و العبد .

يُقال : ((عبيد العصا)) [55] . يُضرب هذا المثل للذليل المستضعف ، ((و أصله أنَّ بني أسد طُلبوا بدم فأمر الملك بقتلهم فاستوهبتهم إمرأة من كندة اسمها عُصيَّة فوهبهم لها فاعتقهم فسُمّوا عبيد العصا . و قيل إنَّ الملك أعطى كلَّ واحد منهم عصا حين طلبوا الأمان فقيل لهم ذلك ، ثم قيل لكل ذليل عبد العصا)) [56] .

و مهما يكن مرد قولهم " عبيد العصا " عصا الملك التي أعطاها بني أسد أم اسم المرأة التي استوهبتهم فإنَّ " العصا " فيه ترمز إلى الانقياد [57] و القهر و الذل . مع لحاظ أنَّها مع عصا الملك أقرب .

و يبقى رمزها إلى الأمان و الإحساس بسلطان الملك ، الإحساس الذي يولِّد الشعور بالخوف و القهر . بمعنى أنَّ " العصا " تضمَّنت الدلالة الضدية ؛ و تضمّنها الدلالة على الأمان هو ما يضغط على الدلالة الأصل لينحو بها نحو ما يتساوق مع الوظيفة الايجابية التي نريد أن نكشف عنها في سياق استعمالها هذا و في غيره من السياقات .

و قريب من هذا دلالتها في إرادة معنى ((خِسَّة العبيد)) [58] ، و ذلك في قولهم : [59]

العبد يُقرع بالعصا و الحر تكفيه الإشارة

2- عصا الجُبن .

يقولون : ((عصا الجبان أطول)) [60] . و في تفسيره ((قال أبو عبيدة : و أحسبه يفعل ذلك من فشله يرى أنَّ طولها أشد ترهيبا لعدوه من قصرها)) [61] . و هذا الاستعمال يزيد في الدلالة على الجُبن أن صارت " العصا " أداة الجبان الطويلة ، في إشارة إلى التوعد الذي يقضي الجبان فيه وقته كلَّه . و كأنَّ طول " العصا " يشير إلى اللسان الطويل في لحظة العراك ، و ليس تخفى عدم الفائدة منه . و هذا يؤشر تناسبا دلاليا بين الطولين السلبيين هنا .

و لا أريد أكثر من عدم استعمال " العصا " في الضرب في هذا السياق ليُعيد التوازن إلى البنية المترتِّبة على النظر إلى طرفي " العصا " من جهة الضارب و المضروب ، إلى الحد الذي يجعل من الطرفين متساويين بلحاظ عملية التوظيف .

3- عصا الشيب .

و مما تعلو الرمزية الدلالية فيه استعمال " العصا " في قولهم : ((حَمَل العصا)) [62] ؛ فإنَّ هذا المَثَل يُضرب ((للمبتلى بالشيب)) [63] . و رمزيته العالية تتمثَّل في إرادة معنى المعنى ؛ فقد ذكر " العصا " و أراد ما يُصاحبها من شيخوخة حاملها و ضعفه و شيبه . و هذا نفسه يكفي للتذكير بإيجاب " العصا " و موقفها الاجتماعي الداعي إلى نبذ العنف و اختيار مظاهر التعقّل و الحكمة الحياتية المطلوبة .

4- عصا الصِّغَر .

تستعمل " العصا " للدلالة على صِغَر جسم الإنسان [64] ، و ذلك في قولهم : ((رأس العصا)) [65] .

5- عصا الفقر .

من بين ما استعملت " العصا " للدلالة عليه هلاك المال ، و ذلك في قولهم : ((قد أقبل فلان و لانت عصاه)) [66] . و معناه أنَّه قد رجع و قد ذهبت إبله و ضاع ماله [67] .

المجموعة الرابعة : نسق عصا الغِنى .

من جميل استعمال " العصا " في السياق المَثَلي سوقها للدلالة على الغِنى و التمني . و لعلَّ في هذا رصدا كبيرا من التقابل الدلالي بين ما لهذه " العصا " من حضور مادي كبير و ما يمثّله الغنى من انغماس في أجواء المادة .

و لا يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل من جليل توظيف " العصا " في هذا السياق أنَّ هنالك آفاقا معنوية يمكن أن تُلحظ هنا ، و ذلك من طريق الربط بين آفاق " العصا " المعنوية ، و لا سيما التي مرَّت في نسق السجايا من جهة و أجواء الغنى المعنوي و التمني من جهة ثانية .

1- عصا الإقامة و التمني .

عندما يُقال : ((قد ألقى العصا)) [68] تكون " العصا " الملقاة رمزا للتوطن و طيب الإقامة [69] ، و ضمان أسباب العيش الرغيد .

و تدخل " العصا " عندما يُراد الكلام على من يُريد شيئا ليس يقدر عليه ، فيُقال : ((ليس في العصا سير)) [70] . و في هذا المعنى الإيحائي يأتي قول الشاعر : [71]

ما لك من هِمَّة و عزم لو أنَّه في عصاك سير

2- عصا الثروة و التفاؤل .

تقول العرب : ((خير من تفاريق العصا)) [72] ، أو ((أبقى من تفاريق العصا)) [73] . و لهذا المَثَل قصة طريفة يظهر بتمامها معناه ، فهو مأخوذ من قول أعرابية لابنها و قد حسُن رأيها فيه بعد أن قد كانت تسبّه ((و كان عارما كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر و دقَّة عظم فواثب يوما فتى فقطع الفتى أنفه فأخذت غنيَّة دِية أنفه فحسُنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت دِيتها فزادت حسُن حالها ثم واثب آخر فقطع شَفَته فأخت الدية ، فلمَّا رأت ما صار عندها من الإبل و الغنم قالت :

أحلف بالمروة حقا و الصفا أنَّك خير من تفاريق العصا)) [74] .

و تفاريق " العصا " فوائدها [75] ، و أجزاؤها المنتفع بها [76] في تفاصيل الحياة .

و استعملت " العصا " في سياق الدلالة على الثراء [77] ، كما في قولهم : ((ضع عصاك)) [78] .

الهوامش

[1] ينظر . البرهان في علوم القرآن ، الزركشي 1 / 490 .
[2] ينظر . مجمع الأمثال ، الميداني 1 / 6 .
[3] ينظر . البرهان في علوم القرآن 1 / 487 .
[4] ينظر . مجمع الأمثال 1 / 6 .
[5] ينظر . مجمع الأمثال 1 / 6 .
[6] ينظر . الصورة الفنية في المثل القرآني ، د. محمد حسين علي الصغير 50 .
[7] مجمع الأمثال 1 / 5 .
[8] ينظر . الكشاف ، الزمخشري 1 / 72 .
[9] ينظر . المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، السيوطي 1 / 461 .
[10] ينظر . مجمع الأمثال 1 / 6 .
[11] ينظر . الصورة الفنية في المثل القرآني 60 .
[12] ينظر . الصورة الفنية في المثل القرآني 47 .
[13] الألفاظ الكتابية ، عبدالرحمن الهمذاني 13 .
[14] ينظر . الحكم و الأمثال ، لجنة من الأدباء 3 .
[15] ينظر . كتاب الأمثال ، أبو فيد مؤرج السدوسي (مقدمة المحقق) 5 .
[16] الأمثال العامية في نجد ، محمد العبودي 2 .
[17] الظواهر اللغوية في الأمثال العربية القديمة ، أسيل سامي أمين (رسالة ماجستير) 36 .
[18] ينظر . أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، د. نبيلة إبراهيم 144 .
[19] تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، د. نوري حمودي القيسي ، و آخرون 345 .
[20] كتاب جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري 1 / 203 .
[21] مجمع الأمثال 1 / 92 ، 2 / 231 .
[22] المستصفى من أمثال العرب ، الزمخشري 2 / 17 .
[23] كتاب جمهرة الأمثال 1 / 299 .
[24] مجمع الأمثال 1 / 17 .
[25] مما قيل فيه أيضا إنَّ ((العصا اسم فرس و العصية اسم أمّه ، يُراد أنَّه يحكي الأم في كرم العرض و شرف العتق)) . مجمع الأمثال 1 / 17 .
[26] مجمع الأمثال 1 / 17 .
[27] ينظر . البيان و التبيين ، الجاحظ 3 / 39 .
[28] مجمع المثال 2 / 202 .
[29] مجمع الأمثال 2 / 202 .
[30] ينظر . مجمع الأمثال 2 / 202 .
[31] مجمع الأمثال 2 / 287 .
[32] مجمع الأمثال 1 / 363 .

[33] ينظر . مجمع الأمثال 1 / 363 .
[34] ينظر . لسان العرب (عصا) 15 / 63 .
[35] فهَّ الرجل : نسي . ينظر . لسان العرب (فهَّ)
[36] البيان و التبيين 3 / 28 .
[37] مجمع الأمثال 2 / 388 .
[38] مجمع الأمثال 2 / 388 .
[39] مجمع الأمثال 2 / 202 .
[40] المستقصى في أمثال العرب 1 / 164 .
[41] المستقصى في أمثال العرب 1 / 164 .
[42] مجمع الأمثال 1 / 421 .
[43] البيان و التبيين 3 / 51 – 52 .
[44] ينظر . لسان العرب (عصا) 15 / 66 .
[45] مجمع الأمثال 1 / 364 .
[46] ينظر . البيان و التبيين 3 / 39 – 40 .
[47] مجمع الأمثال 1 / 433 .
[48] مجمع الأمثال 433 .
[49] مجمع الأمثال 1 / 433 .
[50] مجمع الأمثال 2 / 280 .
[51] مجمع الأمثال 2 / 280 .
[52] لسان العرب (عصا) 15 / 66 .
[53] مجمع الأمثال 2 / 429 .
[54] مجمع الأمثال 2 / 429 .
[55] مجمع الأمثال 1 /65 – 66 .
[56] مجمع الأمثال 1 / 19 .
[57] المستقصى في أمثال العرب 2 / 398 .
[58] ينظر . البيان و التبيين 3 / 40 .
[59] مجمع الأمثال 2 / 19 .
[60] مجمع الأمثال 2 / 19 . و لعجز البيت روايات متعددة هي : و الحر تكفيه الملامة . و : الحر تكفيه المقالة . و : الحر يكفيه الوعيد . البيان و التبيين 3 / 37 .
[61] مجمع الأمثال 2 / 19 .
[62] مجمع الأمثال 2 / 19 .
[63] مجمع الأمثال 1 / 101 .
[64] ينظر . البيان و التبيين 3 / 41 .
[65] البيان و التبيين 3 / 41 .
[66] البيان و التبيين 3 / 52 .
[67] ينظر . البيان و التبيين 3 / 52 .
[68] مجمع الأمثال 1 / 101 .
[69] ينظر . البيان و التبيين 3 / 124 .
[70] مجمع الأمثال 2 / 257 .
[71] البيان و التبيين 3 / 67 .
[72] المستقصى في أمثال العرب 1 / 27 .
[73] كتاب جمهرة الأمثال 1 / 252 – 253 .
[74] المستصفى في امثال العرب 1 / 27 .
[75] ينظر . مجمع الأمثال 1 / 37 .
[76] ينظر . البيان و التبيين 49 – 50 .
[77] البيان و التبيين 3 / 124 .
[78] البيان و التبيين 3 / 124 .

المصادر و المراجع

- أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، د. نبيلة إبراهيم ، مطبعة العالم العربي ، مصر .
- الألفاظ الكتابية ، عبدالرحمن الهمذاني ، ضبطه و صححه : الأب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ط8 ، بيروت 1911 .
- الأمثال ، أبو فيد مؤرج السدوسي ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، الهيأة العامة للتأليف و النشر ، مصر 1971 .
- الأمثال العامية في نجد ، محمد العبودي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاه ، ط1 ، القاهرة 1959 .
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت 1957 .
- البيان و التبيين ، أبو عمرو بحر بن عثمان الجاحظ ، تحقيق : محمد عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط3 ، القاهرة 1968 .
- تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البياتي ، د. مصطفى عبداللطيف ، دار الحرية ، بغداد 1979 .
- جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، و عبدالحميد قطامش ، دار الجيل ، ط2 ، لبنان ، بيروت 1988 .
- الحكم و الأمثال ، لجنة من الأدباء ، دار المعارف ، مصر .
- الصورة الفنية في المثل القرآني ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1981 .
- الظواهر اللغوية في الأمثال العربية القديمة ، أسيل سامي أمين ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، كلية الآداب 1999 .
- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري ، طهران .
- مجمع الأمثال ، الميداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار القلم ، لبنان ، بيروت .
- المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة 1958 .
- المستقصى في أمثال العرب ، الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، لبنان ، بيروت 1987 .